# قانون الكتاب المقدّس

الأب نجيب إبراهيم

هو اللائحة الكاملة للأسفار المقدّسة. والمقياس الوحيد لتحديد هذه اللائحة هو التقليد الإلهي الرسولي، بمعنى أنّ الكنيسة تسلّمت الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد من يسوع والرسل. وبذلك يستطيع المسيحيّ أن يميّز بين الكتاب المقدّس والكتابات المنحولة، بين ما هو ملهم من الروح القدس ومؤلّفات أخرى. يحتوي قانون الكتاب المقدّس للعهد القديم ٤٦ سفراً وللعهد الجديد ٢٧ سفراً.

قانون الكتاب المقدّس هو قانون للإيمان وللحياة المسيحية، ذلك أنّ سلطة الكتاب المقدّس تنبع من سلطة الله، الذي أوحى هذا الكتاب.

كان الكتاب المقدّس، بأسفاره الكاملة، حاضراً في حياة الكنيسة منذ نشأتها. عندما يتكلّم العهد الجديد عن الكتاب المقدّس، كان المقصود به العهد القديم، الذي اكتملت أسفاره قبل مجيء المسيح. أما العهد الجديد فقد تمّ تدوينه بنهاية القرن الأول للميلاد.

كلّ أسفار العهد الجديد مرتبطة مباشرة بالرسل أو بأحد التلاميذ الذين رافقوهم بالرسالة. أنهى بولس تدوين رسائله في الستينات من القرن الأول، أي قبل الأناجيل الأربعة. أول الأناجيل، من الناحية التاريخية، هو إنجيل مرقس، الذي ترتبط شهادته بشهادة بطرس الرسول.

كذلك يرتبط إنجيل لوقا بشهادة وتعليم بولس الرسول. متى ويوحنا كانا من الرسل الإثني عشر. وبذلك تصبح الأناجيل الأربعة مثل كلّ أسفار العهد الجديد مرتبطة بشهادة وتعليم الرسل.

وهنا نتساءل: متى حدّدت الكنيسة قانون الكتاب المقدّس؟

هل كانت كلّ أسفار العهد القديم والجديد مقبولة دائما ومن قبل كلّ الكنائس في القانون؟

## الأسفار القانونية الأولى والثانية

الأسفار القانونية الأولى هي الأسفار التي اعترف بإلهامها كل المسيحيين وفي كلّ الأزمنة، أي أنّها كانت دائما في القانون.

الأسفار القانونية الثانية هي التي شكّ بعضهم بإلهامها وفي بعض الأزمنة، قبل أن تُقبل بشكل نهائي في قانون الكتاب المقدّس.

وهذه الأسفار القانونية الثانية هي (٧) في العهد القديم: طوبيا، يهوديت، ١ و٢ مكابيين، باروخ، ورسالة إرميا، يشوع بن سيراخ، والحكمة.

وعددها أيضا (٧) في العهد الجديد: عبرانيين، يعقوب، ٢ بطرس، ٢ و٣ يوحنا، يهوذا والرؤيا.

لا يعترف البروتستانت واليهود بالأسفار القانونية الثانية للعهد القديم ويعتبرونها منحولة، أي غير ملهمة من الله. أما العهد الجديد فهو اليوم مقبول بكامله من قبل جميع المسيحيين.

## قانون الكتاب المقدّس عقيدة إيمانية

هناك عقيدة إيمانية في الكنيسة الكاثوليكية حول قانون الكتاب المقدّس. لذلك لا يمكن للمسيحي أن يبقى في الكنيسة إذا رفض هذه العقيدة، التي تمّ تحديدها احتفاليا في مجمع ترانت، (شمالي إيطاليا)، سنة ١٥٤٦.

يُعِيد المجمع الڤاتيكاني الثاني تعليم الكنيسة عبر العصور حول الكتاب المقدّس، فيقول:

«إنّ الحقائق التي أوحى بها الله، وتحملها أسفار الكتاب المقدّس الى الناس، قد دُوِّنت بإلهام من الروح القدس، والكنيسة المقدّسة أمّنا، اعتماداً على إيمان الرسل، تعتبر كلّ الأسفار في كلا العهدين القديم والجديد قانونية ومقدّسة بكلّ أجزائها، ذلك أنّها كتبت بإلهام الروح القدس. ولذا فهي من وضع الله، وعلى هذا الاعتبار تسلّمتها بالتناقل» (الوحي الإلهي ١١).

نذكر أن هذه العقيدة التي حدّدها مجمع "ترانت"، قد علّمتها الكنيسة سابقاً. في مجمع "فلورانس" (سنة ١٤٤١ م)، لدينا إعلان مع نفس اللائحة. يكتسب إعلان هذا المجمع أهمية خاصة من حيث أنّه كان مسكونيا، اشتركت فيه الكنائس الشرقية.

في القرن الرابع والخامس انعقدت مجامع أسقفية في شمالي إفريقيا، فيها نفس لائحة مجمع "ترانت". من هنا نستنتج أنّ السلطة التعليمية للكنيسة كان لها دائما نفس القانون للكتاب المقدّس.

نعرف أنّ تحديد العقائد في الكنيسة يتمّ غالبا لاسباب تاريخية، بدافع من الروح القدس. لم يكن هناك أية حاجة لتحديد عقائدي في بدايات الكنيسة، لأنّ كل المعمّدين كانوا يؤمنون بقدسية وسلطة الكتاب المقدّس. لذلك ليس لدينا أي شاهد للشك في أحد الأسفار البيبلية في الحقبة التي تلي عهد الرسل. يشهد على هذه الحقيقة الآباء الرسوليون، أصحاب المؤلّفات المسيحية، الذين عاشوا وكتبوا في القرن الثاني للميلاد.

## الصفة المقدّسة لأسفار العهد الجديد لدى الآباء الرسوليين

نتوقف عند العهد الجديد لأنّ هناك من يعمل على بث الشكّ في عقول الناس حول الأناجيل

الأربعة، فيقول أنّ الأناجيل كثيرة ولم يبقَ في الكتاب المقدّس سوى ما قرّره الامبراطور قسطنطين في مجمع "نيقيا"، (من أعمال تركيا اليوم)، متخلّيا عن أناجيل أخرى كانت معتمدة سابقاً لدى المسيحيين. هراء ما بعده هراء يقوله "دان براون" في روايته «شيفرة دا ڤينشي» التي يزعم أنّها مبنية على معطيات تاريخية حقيقية. وكلّ الحقيقة التاريخية أنّ الكنيسة دافعت عن إيمانها الرسولي في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد ضدّ هرطقة تُعدُّ من أعظم الهرطقات التي واجهتها على مرّ العصور: "الغنوصية" وهي مزيج من فلسفة ودين مستوحى بشكل توليفي انتقائي من الأديان الوثنية واليهودية والمسيحية. فجاء "دان براون" في عصرنا يستلهم هذه الهرطقات ليكتب رواية استحوذت على عقول كثيرة في الغرب العلماني وحتى على بعض المؤمنين الذين راحوا يتساءلون ويسألون كهنة الرعايا عن حقيقة الأناجيل وأصلها. خبرة عِشْتُها في رعية إيطالية دون معرفتي بالدوافع التي حملت هؤلاء المؤمنين المواظبين على الصلاة والاشتراك في قداس الأحد على التساؤل حول حقيقة الأناجيل. تأثروا برواية "دان براون" وأرادوا أن يفهموا حقيقة الأمور. كما اندهشت عندما طُرح عليّ السؤال من قبل بعض المؤمنين المقدسيين حول هذا الموضوع، بعد مطالعتهم هذه الرواية. لذلك أردت أن أكتب هذا المقال المقتضب عن قانون الكتاب المقدّس وبنوع خاص عن قانون العهد الجديد.

كانت الكنيسة الأولى تثابر على قراءة أسفار العهد القديم والجديد في الاجتماعات الليتورجية. باستطاعتنا أن نستنتج هذه الحقيقة التاريخية في أسفار العهد الجديد نفسه، حيث يطلب الكاتب الملهم صراحةً من المؤمنين قراءة كتاباته قراءة جماعية، أي خلال لقاءات الصلاة. يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيقي:

«أستحلفكم بالرب أن تُقرأ هذه الرسالة على الإخوة أجمعين» (٥ : ٢٧).

كما يقول كاتب سفر الرؤيا:

«طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوءة ويحفظون ما ورد فيها، لأنّ الوقت قد اقترب» (١ : ٣).

في رسالة بطرس الثانية لدينا إثبات واضح على اعتبار رسائل بولس الرسول من الاسفار المقدّسة للكتاب المقدّس:

«وعُدّوا طول أناة ربّنا وسيلة لخلاصكم، كما كتب إليكم بذلك أخونا الحبيب بولس، شأنه في جميع الرسائل كلّما تناول هذه المسائل. وقد ورد فيها أمور غامضة يحرّفها الذين لا علم عندهم ولا ثبات، كما يفعلون في سائر الكتب، وإنما يفعلون ذلك لهلاكهم» (٣: ١٥ – ١٦).

«كما يفعلون في سائر الكتب» يقول النصّ، وهذا يعني أنّه عندما دُوّنت رسالة بطرس الثانية كان هناك يقين في الكنيسة حول قداسة وسلطة رسائل بولس، باعتبار أنّها جزء من الكتاب

المقدّس.

بعد الحقبة الرسولية ثابرت الكنيسة على القراءة الجماعية للعهد الجديد. هناك شواهد رائعة لدى الكتّاب المسيحيين في القرن الثاني للميلاد، ومنهم إبن هذه الارض المقدّسة، "يوستينوس" النابلسي الذي توفي شهيدا سنة ١٦٤ م. ترك لنا مؤلفا يدافع فيه عن الإيمان المسيحي. في هذا الكتاب يصف لنا الاحتفال بالقداس يوم الشمس، أي يوم الأحد، فيذكر الأناجيل التي يدعوها «كرازة الرسل»، ويقول:

«وفي يوم الشمس، كما يُقال، يجتمع ساكنو المدن أو القرى، في مكان واحد، فيقرأون **كرازة الرسل** أو كتابات الأنبياء، بقدر ما يسمح الوقت بذلك. ثم عندما يتوقف القارئ، يوجّه المترئس بعض كلمات الحثّ والإرشاد للتمثّل بهذه الأمور العظيمة».

ساهمتْ ولا شك القراءة الجماعية والفردية لأسفار العهد الجديد على تثبيت القانون. مما يدلّ على أن المسيحيين كانوا يعترفون بقدسية وسلطة هذه الأسفار، فساهم ذلك في تحديد الأسفار المقدّسة للعهد الجديد، حتى ولو لم يكن هناك قانون معلن من الكنيسة. ولم يأتِ تحديد القانون في المجامع الكنسية وفي كتابات آباء الكنيسة، إلا لدحض حجج الهراطقة. نذكر بنوع خاص الهرطقة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني: "الغنوصية" بأنواعها، خاصة تعليم مارسيون (أو مرقيون) الغنوصي، الذي رفض كليا العهد القديم، وما قَبِل من العهد الجديد سوى ما كان مناسبا لتعليمه الهرطوقي. فكان على الكنيسة أن تدافع حتى الشهَادة عن حقيقة الإيمان وقدسية الكتاب المقدّس بأسفاره الكاملة، فتوصلّتْ بدافع من الروح القدس إلى إعلان عقيدة القانون لتثبت لجميع المؤمنين قدسية وسلطة الكتاب المقدّس في كلّ أسفاره كاملة. هذا يعني أن المسيحيين لم يكن لهم عبر العصور أية كتابات مقدّسة سوى الكتاب المقدّس، بعهديه القديم والجديد.

يحتفظ العهد القديم بقيمة لا تزول، لأنّه لم يُنقض قطّ. أسفاره كلّها من وحي إلهي وهي جزء من الكتاب المقدّس لا يناله زوال. ولكن يجب التأكيد على أنّ الهدف الرئيسيّ للعهد القديم هو الإعداد لمجيء المسيح، مخلّص العالم. يؤكّد تعليم الكنيسة هذه الحقيقة الإيمانية:

«أسفار العهد القديم وإن احتوتْ أمورا ناقصة أو صالحة إلى حين، تثبت كل النهج الإلهيّ الذي تنهجه محبّة الله الخلاصيّة: إنّها تحتوي تعاليم سامية عن الله، وحكمة مفيدة في شأن الحياة البشرية، وكنوزاً رائعة من الصلاة؛ وفيها أخيرا يكمن سرّ خلاصنا» (تعليم الكنيسة ١٢٢).

العهد الجديد هو ملء الوحي الإلهيّ. أسفاره تقدّم لنا حقيقة الوحي الإلهي النهائية. أما موضوع العهد الجديد المركزيّ «هو يسوع المسيح، إبن الله المتجسّد، وأعماله، وتعاليمه، وآلامه، وتمجيده، فضلا عن نشأة الكنيسة بفعل الروح القدس» (تعليم الكنيسة ١٢٤).

الإنجيل الرباعيّ النصّ هو قلب العهد الجديد، من حيث أنّه الشهادة المثلى على حياة الكَلِمَة

المتجسد وتعليمه.

وخلاصة القول أنّ المسيحيين على مرّ العصور كانوا يؤمنون بوحدة الكتاب المقدّس. هذا إيمان الرسل وما تناقلته الكنيسة عنهم حسب التقليد. الرجوع إلى المسيح، كلمة الله المتجسّد، يثبت هذه الحقيقة. كلّ الكتاب المقدّس يتكلّم عنه بشكل أو بآخر. لذلك يجب قراءة العهد القديم على ضوء المسيح الذي مات وقام من بين الأموات. كما يتطلّب العهد الجديد أن يُقرأ على ضوء القديم أيضاً. حتى أنّه باستطاعتنا القول أنّ العهد القديم هو بمثابة ألف باء العهد الجديد. كما يقول القديس أغسطينوس قوله المأثور: «الجديد مختبئ في القديم، وفي الجديد يتكشّف القديم».

تحرّض الكنيسة بطريقة ملّحة وخاصة جميع المسيحيين على تحصيل «معرفة يسوع المسيح» (فيليبي ٣: ٨) بالمثابرة على قراءة الكتاب المقدّس. إذ إنّ في جهل الكتاب المقدّس جهلاً للمسيح، كما يقول القديس "إيرونيمس" الذي عاش في كنف كنيسة المهد في بيت لحم، مكرّسا حياته كلها لخدمة الكتاب المقدّس.

وخير ما نختم به هذا المقال، هو المزمور (١١٩)، الذي يعبّر خير تعبير عن قيمة كلام الله في حياة المؤمن:

«كم أحبُّ شريعتك!
كلمتك مصباح لقدميّ
أقسمتُ وسأنجز
ورثت شهادتك للأبد
أملت قلبي لأعمل بفرائضك
لتفض شفتاي تسبيحاً
ليُشِد لساني بقولك

فهي تأمُّلي النهار كلّه.
ونور لسبيلي.
أن أحفظ أحكام برّك.
لأنّها سرور قلبي.
فإنّها الثواب للأبد.
لأنّك تعلّمني فرائضك.
فبرٌّ جميع وصاياك.

## رسالة مديوغوريه

٢٥ / ٧ / ٢٠٠٦

**يا أبنائي الأحباء،**

**في هذا الزمن، لا تفكّروا في راحة أجسادكم فقط، بل ابحثوا صغاري عن وقتٍ للروح أيضاً. فالروح القدس يكلّمكم في الصمت. اسمحوا له أنْ يردّكم ويغيّركم. أنا معكم وأتشفع أمام الله من أجل كلّ واحد منكم.**

**شكراً لتلبيتكم ندائي**